دراسات فی العلوم الإنسانية
۲۹(۴)، الشتاء ۱۴۴۴/۱۴۰۱/۲۰۲۳، صص ۶۷-۸۸
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

عُنْف السُّلْطَة واستبدادها في رِوَايَة (ليل البلاد) للرِّوَائي العراقي جنان جاسم حلاوي دراسة في ضوء النَّقد الثَّقافي

عبد الخالق كاظم إبراهيم[۱]، فرامرز ميرزائي[۲*]، خليل پروينى[۳]

۱. طالب دكتوراه في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها بجامعة تربيت مدرس
۲. أستاذ في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها بجامعة تربيت مدرس
۳.أستاذ فى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس

تاريخ الوصول: ۲۰/ ۱۲/ ۱۴۴۲ تاريخ القبول: ۲۹ /۳ /۱۴۴۳

الملخص

إن هدف النص السردي استحضار وإنشاء عالم روائي عن طريق اللُّغة، فتقوم الكلمة مقام العدسة فتكشف جوانب مختلفة عن المجتمع. فعَبْر دراسة هذا النص السردي في سياقه الثَّقافي والاجتماعي والسِّياسيّ والتاريخي واستجلاء دوره في تشكيل الهُوِيَّة الثَّقافية للمجتمع يتم البحث فيها عن الأنساق المضمرة والمختفية خلف النص الظاهر وجمالياته الفنية. تسعى هذه الدِّراسة، وبمنهج وصفي – تحليلي، استناداً على المقاربات النَّقدية للنَّقد الثَّقافي وآلياته الإجرائية من خلال رصد الأنساق الثَّقافية المتوارية خلف البناء اللُّغوي للنص الرِّوَائي في رواية (ليل البلاد) لجنان جاسم حلاوي، لغرض تقديم تصور حول الأنساق الثَّقافية ببعديها الجمالي والقبحي. فالجماليات هي التي تقود إلى الوعي الثَّقافي والقبحيات هي العيوب النَّسقية المختبئة تحت عباءة الجمالية باعتبارها حيلة ثقافية من حيل النَّسق والتي تقود إلى العمى الثَّقافي. فالنَّسق الظاهر في خطاب الحرب هو الوطنية والكرامة والدفاع عن البوابة الشرقية، وتقابله ما كشفته الرواية عن أنساق العُنْف المنهج بأشكالها الظاهرة والمضمرة والتي واجهتها الشخصية الرِّوَائية (عبدالله) في مختلف مراحل حياته، وقد أنتجت الممارسات القمعية تراكمات سلبية على الشخصية العراقية أدت إلى تمزق الذات وضياع الهُوِيَّة، وتبدل المكان في رواية ليل البلاد إلى صورة سردية تحمل مفارقة ساخرة حين تتحول الأمكنة السارّة (أعمدة ملاعب الأطفال)، إلى الأمكنة الحزينة (مشانق الإعدام) ليظهر سيطرة الأنساق الثقافية التي ولّدها العُنْف المتتابع في المجتمع العراقي.

الكلمات المفتاحية: النَّقد الثَّقافي، عُنْف السُّلْطَة، جنان جاسم حلاوي، روَايَة ليل البلاد.

الكاتب المسؤول: E-mail: f_mirzaei@modares.ac.ir

Copyright© 2023, the Authors | Publishing Rights, ASPI. This open-access article is published under the terms of the Creative Commons Attribution- NonCommercial 4.0 International License which permits Share (copy and redistribute the material in any medium or format) and Adapt (remix, transform, and build upon the material) under the Attribution-NonCommercial terms.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

١. المقدمة

يُعدُّ العُنْف السِّياسيّ بكل أشكاله وأنواعه ظاهرة عالمية تنخر بالمجتمعات والأفراد على حدٍ سواء، والأنظمة الشمولية والتسلطية تعدُّ الأكثر تجسيداً للإرهاب السِّياسيّ الممارس على المجتمع بمسوغات مختلفة هدفها إضفاء الشرعية على ممارساتها القمعية. والرِّوَايَة استحضار لما في المجتمع من تيارات اجتماعية وسياسية فلا شك أنّ القراءة السِّياسيّة للرِّوَايَة تُساهم في فهم السلوك السِّياسيّ للمجتمع، لأنها تهتم بمسائل السُّلْطَة والحكم والاستبداد ومصادرة الحقوق والسجون والمعتقلات والظلم والقهر. ثم إنّ لكل عمل أدبي مجموعة من الأنساق الثقافية المختلفة والمتعددة التي تقف خلف إنتاجه باعتباره خطاباً اجتماعياً وليس نصاً أدبياً فقط. لاسيما وأن الرِّوَايَة تعبر عن قضايا المجتمع عبر أزمنتها المختلفة ماضياً وحاضراً واستشرافاً لآفاق المستقبل، وهدف الرِّوَائي من هذا السرد هو تعرية الواقع السِّياسيّ والاجتماعي وتفكيك خطاباته المهيمنة بصور مادية ورمزية، وظاهرة وخفية.

كانت الرِّوَايَة العراقية زمن الدكتاتورية البعثية، تمجّد العُنْف والموت والحرب والقيم الوطنية الزائفة، ثم ظهرت الرِّوَايَة المكتوبة في المنفى، فرسمت أبعاد الواقع العراقي بعمق، وأوضحت فيه معاناة العراقي ومقاومته وانكساره، كما في رواية "ليل البلاد" لجنان جاسم حلاوي والتي تكشف معاناة الجندي العراقي في المؤسسة العسكرية.

تحاول هذه المقالة الدخول إلى عالم العُنْف المؤسسي لسلطة الطاغية صدام وممارساته الاستبدادية والقهرية من خلال المدخل الثقافي، والمنجز الفكري الذي تحقق في حقل " الدِّراسات الثقافية والنَّقد الثَّقافي" وهو مجال معرفي جديد ينتمي إلى تيار مابعد الحداثة، ويهتم بقضايا شديدة الحساسية كالعرق والجنوسة والنسوية والثقافة الشعبية، مستندا إلى علوم النفس والاجتماع والأنثربولوجيا والفلسفة والتاريخ. ومدى صعوبة هذه المحاولات واضح لطبيعة العلاقة بين النظرية الأدبية والدِّراسات الثَّقافية، حيث تركت الدِّراسات الثَّقافية آثاراً مهمة على دراسة الأدب من خلال تقويض الحدود بين الحقول المعرفية المختلفة، وتأكيدها على الدِّراسات البينية، وقراءة النَّصوص الأدبية، وغير الأدبية، باعتبارها واحدة من بين عمليات ثقافية عديدة، ومثَّل ذلك تحولاً عن نظريات الأدبية باعتبارها سمة جمالية ثابتة ومعتمدة إلى الأدبية (هاميلتون والآخرون، ٢٠٠٥: ٢٣٧-٢٥٣). لذا سنقوم بتسليط الضوء على بعض المواضع ذات الدلالة الثَّقافية في رواية (ليل البلاد). تحاول هذه الدِّراسة وبالمنهج الوصفي التحليلي معتمداً على أدوات النَّقد الثَّقافي وعلى القراءة والاستنباط لتجيب عن التساؤلات الآتية:

- ما هي أهم الأنساق الثَّقافية المضمرة والظاهرة لعُنْف السُّلْطَة في رواية ليل البلاد؟
- ما هو أهم تأثير لعُنْف السُّلْطَة على المجتمع العراقي في رِوَايَة ليل البلاد؟

٢. خلفية الدِّراسة

قد تنوعت الدِّراسات التي تناولت ظاهرة العُنْف بأسبابها ودوافعها وتمثلاتها في الرِّوَايَة العربيَّة كالعُنْف الجسدي والعُنْف

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

الأبوي والعُنْف السِّياسيّ، فمما تجدر الإشارة إليه مقال معنون بـ "العُنْف ضد الإنسان في الرِّوَايَة العراقية قراءة في رِوَايَة حيدر كاظم المعموري (لاحياة في هذه المدينة)" لآلاء محسن حسن الحسني، (٢٠٢١: ٣١)، حيث توصلت الباحثة إلى أن الرِّوَايَة استغلت قضية الاحتلال الأمريكي للعراق «من أجل عكس الواقع العراقي بكل ما يحمله من مواقف وأفعال وحشية عاشها الفرد العراقي بتعرّضه لأبشع أنواع العُنْف أثناء الحرب الأمريكية على العراق، ولاسيما في مدينة السماوة (مدينة الكاتب)». ثم مقال منشور في مجلة دراسات في السردانية العربيَّة المعنون بـ«دراسة أسلوبية لعناصر السرد والعُنْف في الرِّوَايَة العراقية المعاصرة؛ روَايَة خان الشابندر لمحمد حياوي اختياراً» لكريمة نوماس محمد المدني(٢٠٢١: ٣٠٣) فصرحت أن في روَايَة خان الشابندر نجد «مشاهد العُنْف متمثلة بواقع مرير يتجسد بمشاهد دامية من انفجارات الشوارع .. وكأن البلد أصبح ساحة حرب». ومقال آخر لميثاق حسن عطار وناهضة ستار المعنون بـ «عنف السُّلْطَة في الرِّوَايَة العراقية في المنفى» (٢٠١٢: ٧٦) حيث توصلا إلى أن «غربة المدنية بوصفها نتيجةً حتميةً للسياسات التي انتهجتها السُّلْطَة القمعية لعسكرة المجتمع إحدى أبرز الإشكالات التي طرحتها الرِّوَايَة العراقية في المنفى ورصدت انعكاساتها السالبية في بنية الفرد والمجتمع». فلم يتعرض المقال إلى روايات جنان جاسم حلاوي ولا إلى الأنساق الثقافية المضمرة والظاهرة فيها وهذا ما يجعل دراستنا هذه مختلفة عنه. ومقال آخر منشور في مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربيَّة وآدابها بعنوان «العُنْف السِّياسيّ: الجماعي والحكومي وآثارهما في روَايَة «نجمة أغسطس» لصنع الله ابراهيم» لفرامرز ميرزائي وزملاؤه(٢٠١٨: ١٤٠) إذ عالج ظاهرة العُنْف السِّياسيّ حسب وجهة نظر المنظّر السِّياسيّ الأمريكي تيدروبرت جير الذي يرى أنّ الحرمان النسبي يخلق العُنْف السِّياسيّ الجماعي الذي يؤدّي إلى قيام المحرومين بأعمال العُنْف. ومقال آخر بعنوان «الجسد في روايات العُنْف في العراق، دِراسة في نماذج من روَايَة مابعد التغيير في العراق» لباسم صالح حميد فتناول الباحث(٢٠١٧: ٣٥) تمظهرات العُنْف على الجسد في ثلاثة نماذج روائية من الرِّوَايَة العراقية (أموات بغداد؛ فرانكشتاين في بغداد؛ ومشرحة بغداد) وقد أوضح البحث أن الجسد في روَايَة مابعد التغيير قد تعرض للموت العنيف كما جسدت الانبعاث بعد الموت أو وهم الانبعاث بعد الموت. ومقال آخر لضياء غني العبودي بعنوان «العنف السِّياسيّ في رِوَايَة طيور التاجي» فعالج الباحث شتى صور العنف الذي عصف بالشعب العراقي كالقتل والتهجير والاحتقان الطائفي، والقمع، والسجن (٢٠٢٠: ٢٥٥).

فلم يجد الباحثان بحثاً علمياً منشوراً حول راوية ليل البلاد، إلا مقالا قد نُشر بعنوان «الإثنوغرافيا وتجليات الأنساق المضمرة في رواية ليل البلاد للروائي العراقي جنان جاسم الحلاوي » (ابراهيم، ميرزائي، ٢٠٢٢: ٨٠) وأظهرت المقالة أن الأنساق الثقافية السائدة والمصير المجهول وضياع الهوية تتجلى من خلال الوصف الدقيق لتفاصيل المظاهر الخارجية للحياة التي عاشها الجندي العراقي في معسكرات الحرب ووصف مظاهر المدن الحياة الاجتماعية من خلال تلك الحرب. ولكنهما لم يجدا دِراسة تختص بعنف السُّلْطَة في روايات جنان جاسم حلاوي وهذا ما يدل على جدة البحث وأهميته.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

٣.العُنْف والعُنْف السِّياسيّ

عرفت البشرية العُنْف «في سياق الشخصية الإنسانية التي تصطنع هذا السلوك لاعتقادها بأنه سيحقق لها ما تصبو إليه من أهداف» (الحسني، ٢٠٢١: ٢٨)، وتتفق التعريفات اللُّغوية والاصطلاحية والاجتماعية على معنى متشابه لهذا المفهوم، فلغوياً يأتي بمعنى قلة الرفق، فهو عنيف إذا لمْيكن رفيقاً في أمره (ابن‌منظور، حرف العين :عنف)، أما اصطلاحاً فيعني «الإكراه المادي الواقع على شخص لإجباره على سلوك أو التزام ما» (حجازي، وقناوي، ١٩٩٥: ١٥)، وفي العلوم الاجتماعية يقصد به «استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما» (بدوي، ١٩٧٨ :٤٤١). وأُطنِب الحديث عن ظاهرة العُنْف المعقدة، فأصحاب نظرية التحليل النفسي يرجعونها إلى عوامل نفسية (سبيلا، ٢٠٠٩: ١٩٣)، وأما منظري علم الاجتماع فيعدونها تعبيرات عدائية تصدر عن الأفراد لتؤدي وظائف اجتماعية من خلال عملها على استمرار العلاقات تحت ظروف التوتر والضغط، لتحول دون انحلال المجموعة وتفككها بانسحاب المشاركين فيها (زايتلن، ١٩٨٩ :١٨٠-١٨١). يسيطر الاعتقاد حالياً بأن العُنْف ملازم للطبيعة البشرية وبالتالي السياسة وهو إمّا مادي مباشر يتناول الأجساد وإمّا معنوي يحرم الإنسان من ممارسة حقوقه الأساسية ويمس في وجوده وكرامته وسلامته، (العكرة، ١٩٨٦: ٦٢٧-٦٢٦). فإذن «العُنْف ضغط جسدي أو معنوي، ذو طابع فردي أو جماعي، ينزله الإنسان بالإنسان، بالقدر الذي يتحمله على أنه مساس بممارسة حق أقر بأنه حق أساسي، أو بتصور للنمو الإنساني الممكن في فترة معينة» (مجموعة من الباحثين الفرنسيين، ١٩٩٣: ١٤٨-١٤٩). فهذا التعريف يضع مادية الفعل العنيف في المرتبة الثانية ليركز على أن العُنْف هو كل ما من شأنه أن يمس بحق من الحقوق الأساسية للإنسان. والعُنْف السِّياسيّ بأنواعه كالحروب والاغتيالات السِّياسيّة والإرهاب والتعذيب، وما تمارسه الأنظمة الدكتاتورية عبر أجهزتها المختلفة، يعد من أبرز مفاهيم العُنْف.

تتمايز أجهزة الدولة القمعية عن أجهزة الدولة الأيديولوجية: فالأولى هي عتاد أنظمة السُّلْطَة في ممارسة التحكم على الأفراد بواسطة القوة المكشوفة، من خلال أجهزة الشرطة والجيش وقوانين العقوبات والجزاء، والثانية ممارسة القمع عبر اللاوعي الاجتماعي الذي يعاد إنتاجه في مؤسسات الدولة المختلفة وأجهزة وسائل الأعلام؛ والفرق بينهما أن الأولى تعيد إنتاج السُّلْطَة بواسطة العُنْف المادي، والثانية تؤدي الدور ذاته بأدوات "ناعمة" وبقمع مخفف أو مقنع، وكلاهما عتاد نظام السُّلْطَة لممارسة الهيمنة وضمان استمرارها (كاظم، ٢٠٠٤: ٣٧-٣٨) وانطلاقا من ذلك يمكن تقسيم أجهزة السُّلْطَة البعثية (الصدامية) في العراق التي مارست العُنْف إلى:

١- أجهزة الدولة القمعية: فقد مارس النظام العنفَ الرسمي من خلال أجهزة الجيش والشرطة والمخابرات والقوانين الاستثنائية لترسيخ الحكم الديكتاتوري ودعمومته. إذ مارس العُنْف بأبشع صوره من خلال العُنْف الظاهر المادي كالقتل والتخريب وإدخال البلاد في صراع متعدد، ومن خلاله يمكننا أن نسلط الضوء على الأنساق الثَّقافية الظاهرة التي مارسها النظام.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

٢- أجهزة الدولة الأيديولوجية: عمل عليها النظام بقوة لأن العراق كان مغلقا إعلاميا إلا من خلال نافذة أعلام السُّلْطَة والذي يعتبر ترجمة للعُنْف الرمزي الذي يمارسه المثقفون بخطاباتهم الملغمة، أي كل ما يحول الثَّقافة إلى خزان لتوليد العُنْف (حرب، ٢٠٠٢: ٢٣). ويمثل العُنْف الأيديولوجي العنفَ المضمرَ للنيل من كرامة الإنسان ومصادرة حرياته من خلال اعتماد وسائل الإعلام والمؤسسات التربوية في ترسيخ أيديولوجيتها وقمع الفكر المخالف لها لتفرض نفسها على الشعب.

ولاشك أنّ القراءة السِّياسيّة للرِّوَايَة تُساهم في فهم السلوك السِّياسيّ للمجتمع، إذ يعتقد المنظّر السِّياسيّ الأمريكي تيدروبرت جير بأنّ الحرمان النسبي يخلق العُنْف السِّياسيّ الجماعي الذي يؤدّي إلى قيام المحرومين بأعمال العُنْف. بينما يعتقد "تاسيت"، أنّ العُنْف الحكومي يخلق التقاعس والانعزال اللذين بدورهما يؤدّيان إلى تشديد العُنْف السِّياسيّ (ميرزائي والآخرون، ٢٠١٨: ١٤٠). تهتم الرِّوَايَة السِّياسيّة بمسائل السُّلْطَة والاستبداد ومصادرة الحقوق والسجون والمعتقلات والظلم والقهر... وهي بذلك تشير إلى «الخطاب السِّياسيّ والعقيدة الأيديولوجية والرؤية السِّياسيّة إلى العالم وعلاقة الإنسان بالسُّلْطَة ومنظوره إلى واقعه الضيق أو الواسع» (الحسني، ٢٠٢١: ٣١). فهكذا أصبحت السياسة محوراً فكرياً من محاور الرِّوَايَة المعاصرة للتعبير عن المشروع السِّياسيّ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٤.الأنساق الثَّقافية والعُنْف

النَّسق الثَّقافي مجموعة من القيم المتوارية خلف النصوص والخطابات والممارسات (كاظم، ٢٠١٦: ٩) ولاينطبق على مكونات الثَّقافة إلا حين تتكرر وتترسخ، فالأفكار والقيم حينما تتعزز داخل الثَّقافة وتتضمنها نصوصها، تصبح أنساقاً تمارس فعلها في التأثير داخل النص الثَّقافي وخارجه (التميمي، والشجيري، ٢٠١٤: ٣١٦)، لأن الأنساق الثَّقافية هذه أنساق تاريخية أزلية وراسخة يندفع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثَّقافي المنطوي عليها (الغذامي، ٢٠٠٥: ٧٩). إذن، فالنص السردي، إنتاج ثقافي متعامل مع محيطه ليمتثل لسلطة ثقافة المجتمع؛ وإنه يهدف إلى تعرية الواقع السِّياسيّ والاجتماعي وتفكيك خطاباته المهيمنة. وهذا التصور الأنطولوجي للسرد يقتضي الذهاب إلى ما هو أبعد من النص بحدوده اللُّغوية المغلقة وبدلالته الأدبية المحدودة، ويقتضي قراءة تربط النصوص بالممارسات والقيم والكيانات الثَّقافية ومختلف الخطابات الفاعلة في الثقافة عبر تحول موضوع النَّقد من النص الأدبي إلى النصوص الثَّقافية. فإن النَّقد الثَّقافي، بهذا التحول يبحث عن المعنى الأعمق الذي تنطوي عليه الخطابات عبر الدلالة النَّسقية وصولاً إلى حقيقة النَّسق وأفاعيله (كاظم، ٢٠١٦: ٨-١١). وتأتي أهمية هذا النَّقد لينقل لنا الواقع من خلال الحقل الأدبي والتجارب الإبداعية في الرِّوَايَة وفق النظرة الشمولية التي يعمل عليها من خلال استفادته من مختلف حقول العلوم الإنسانية.

وفقاً لهذا التصور المعرفي فإن الآراء التي ستستخلص من رواية "ليل البلاد" لاتنسب إلى كاتبها بقدر ما تنسب إلى ثقافة العصر الذي عاش فيه لكون الرِّوَايَة تحاول الكشف عن أهم الأنساق الثَّقافية المضمرة والظاهرة التي عاشها المجتمع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

العراقي خلال الحكم الديكتاتوري، والتسجيل لجزء مهم من تاريخ المجتمع فلابد للنَّقد الثَّقافي أن يبحث في الرِّوَايَة عن كتابة ذلك التاريخ بوصفه متخيلاً، وهذا التخيل هو ما يتيح للباحث أن يحلل المجتمع من خلال النص الرِّوَائي بالاعتماد على الرموز الثَّقافية الكاشفة عن ذلك الواقع. فهي مقاربة من خلال النَّقد الثَّقافي الذي لايتيح للنص، وفق آلياته، دراسته من الناحية الجمالية فحسب، بل من حيث علاقته بالأيديولوجيات والمؤثرات التاريخية والسِّياسيّة والاجتماعية والاقتصادية والفكرية. وفي الوقت ذاته ندرك تماماً أن روَايَة "ليل البلاد" تخص حوادث الحرب الطويلة التي شنّها "صدام" بنفسه على الشعبين العراقي والإيراني، إلا أننا نحاول أن نطل من خلالها على العُنْف الذي مارسته السُّلْطَة القمعية لإدامة هذه الحرب واستمرارها.

٥.العتبات النصية لرواية ليل البلاد

روَايَة "ليل البلاد" لـ"جنان جاسم حلاوي"[١] روَايَة ذات بنية تقليدية حظيت ترجمتها الفرنسية (soirée champêtre) بعنوان "بلاد الليل" بترحاب في الصحافة الفرنسية. وتحكي حكاية شخصية تدعى "عبدالله" بالضمير الثالث في حرب مدمرة وما يرتبط بها من معسكرات التدريب والمعتقلات الرهيبة والشوارع المظلمة والحارات المقصوفة. وتدور أغلب أحداثها في البصرة. يعيش عبدالله بعد هرب فاشل من الحرب، ظروفَ الاعتقال القاسية يكاد الواقع فيها يتجاوز الخيال، فيهرب إلى كردستان، ويحارب إلى جانب الأكراد، ثم يقرر العودة بأوراق مزورة إلى البصرة مسقط رأسه. فيعيش مختفياً في منزل غادره الجميع. وفي نهاية الرِّوَايَة يعثر عليه جنود أميركان وقد طال شعر لحيته ورأسه كأنه عائد من كوكب آخر أو من زمن آخر. والرِّوَايَة «وثيقة بالغة الأهمية تتناول فترة مفصلية من تاريخ العراق المعاصر، وقد عُنيت بالحوادث الخارجية ومصائر الشخصية العراقية المعيارية التي ابتليت بمحنة الحرب والسياسة، وهي رواية ميدانية تعري بصدقِ تجربتها النصوص التي مجدت قيمَّ الموت والقتل الصادرة في فترة اندلاعها» (إبراهيم، ٢٠١٢: ١٨٥) نفاذ هذا الرِّوَايَة وبراعة كاتبها ترجع إلى عناصر ثلاثة وهي الواقعية التي تصف أجواء الحرب التي يضطر فيها المرء إلى السير على أكداس من الجثث ليجد طريقه؛ والوفاء، ثانياً، لـ"عبقرية المكان"، من ردهات الاعتقال والتعذيب والمتاريس المكتظة بالبشر والسلاح، وشعاب جبال كردستان التي يخترقها في ليل جليدي وسط تراشق النيران الكثيف. والثالث هو هذا الاستغوار النفسي الذي به يرصد الكاتب أدنى أفكار بطله وهواجسه. عبر هذا كله، ينجح الكاتب في إضفاء غلالة من الصوفية على هذه الرحلة الرهيبة يخوضها إنسان أعزل سُلبتْ منه حرية الاختيار ويناضل ليحافظ بشتى الوسائل على انحيازه النهائي والكلي للحياة.(جهاد، ٢٠٠٣: mafhoum.com)

للعنوان بشكل عام دورٌ مهم في تقريب المتلقي من مضمون الرِّوَايَة الخطابي، فهو "عبارة عن أنظمة دلالية سيميولوجية تحمل في طياتها قيماً أخلاقية واجتماعية وأيديولوجية" (بارت، ١٩٩٣: ٢٥). والعلاقة بين النص والعنوان علاقة جدلية يحيل كل منهما على الآخر لاسيما في عنوان الرِّوَايَة محل الدِّراسة، لذلك يُعدّ العنوان دلالة سيميائية محورية تسمح بفهم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

الخطاب وتقود إلى تأويله. وقد اهتمت السيميائية بدِراسة الإطار الذي يحيط بالنص أو ما يسمى بالنصوص الموازية التي تقوم عليها بنايات النص الرِّوَائي، بالإضافة إلى الوظيفة السيكولوجية التي تساعد على استفزاز القارئ وإثارة انتباهه، و«يتمثل الدور المباشر لدِراسة العتبات في نقل مركز التلقي من النص إلى النص الموازي الذي عدته الدِّراسات الحديثة مفتاحاً مهماً في دِراسة النصوص المغلقة» (حسين، ٢٠١٩: ١٣٨).

فالعنوان (ليل البلاد) بوصفه "عتبة نصية" دالة، حسب جيرار جينيت، ينبئ بأكثر من دلالة وشحنة وحمولة، ليدخل القارئ عبر تلك الإيحاءات والدلالات النفسية والاجتماعية إلى عالم كبير ملؤه الظلام الدامس الذي يلف مجتمعا بأكمله، وعنوان الرِّوَايَة تضمن عنصري الزمان والمكان (ليل) و(البلاد) في رمزية ذات دلالات نفسية عميقة، فالزمان (ليل) يبدو أنه ممتد وطويل، ثم إن العنوان "تركيب إضافي" أضيف فيه الزمان إلى المكان إضافة تعريفية اختصاصية؛ تختص فيه (ليل) لـ(البلاد) ليكسبها معرفة بعد أن كانت نكرة مجهولة وليخصصها للبلاد التي لاتملك إلا الليل!. ويحمل الليل في الأدب العربي دلالةً رمزيةً للشر والفرقة والظلم والغربة والقهر، ورمزيته في الرِّوَايَة أنه يمثل المتاعب والمآسي والمعاناة، ورمزاً لتاريخ أسود مظلم، كأنه صدى لصوت المتنبي(١٩٨٣: ٤٣٤):

(أرى العِرَاقَ طويلَ اللَّيلِ مُذ نُعِيَتْ فَكَيفَ ليلُ فَتَى الفِتيانِ في حَلَبِ)

٦.عُنْف السُّلْطَة الظاهر والبحث عن الْهُوِيَّة الذاتية (العُنْف الجسدي والكرامة المهدورة):

يحُاول الراوي في روَايَة ليل البلاد توثيق جوانب العُنْف الظاهر للسلطة الغاشمة في العراق والكشف عن أكاذيبه التي خدع بها الكثير عبر أبواقه الإعلامية. بعد أن أشعل صدام حربه على إيران، والتي كانت بداية الدمار للبلد وصولاً إلى الاحتلال الأمريكي، كان يزج بالشعب العراقي في معسكرات الموت رغماً عنهم؛ فالمواطن العراقي إما يموت مسحوق الكرامة والإنسانية بلحاقه بمعسكرات الموت، وإما يموت متهماً ومداناً بالخيانة لوطنه والعمل لأجندات الخارج بامتناعه عنها. إن السُّلْطَة السِّياسيّة تمارس أنواع العُنْف لتركيع «خصمها السِّياسيّ، في حال فشلها بإقناعه للخضوع إليها، أو ما يسميه "إريك دافيس" بالمشروع الهيمني» (حميد، ٢٠١٧: ٣٧)، فتعددت صور العُنْف في روَايَة ليل البلاد بأشكال مختلفة كالإعدام لمن يتراجع عن الحرب من خلال "لجنة متابعة المتسربين" وهي فرقة إعدام خاصة بالهاربين من الحرب، والسجن والتعذيب لمن يتخلف عنها، وكذلك العُنْف اللفظي من خلال التعدي بالكلمات النابية بالإضافة إلى العُنْف الجسدي الذي يقصد به إيقاع الألم أو المعاناة كالضرب والدفع.

ففي مقطع من الرِّوَايَة يبدي "عبدالله" عدم رغبته للتدخل في السياسة فراراً من محاولة إجباره على الانتماء لحزب البعث، فيتلقى أسوأ أنواع الكلمات النابية والاحتقار فينهره الضابط معنّفاً بالتهديد والوعيد «الحزب ليس سياسة، الحزب هو الوطن ..."مستقلاً" عن الحزب والحكومة والدولة والجيش؛ من أنت، غير دودة، قذارة، خرقة، هزأة، و"مستقلاً" يا ابن الكلب، من أنت حتى تستقل: ضابط، زعيم، رئيس دولة؟ وممن تستقل وكيف تستقل؟ يا ابن الفطيسة، يا نغل، يا نتن يا

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

ابن النتن: .... طبعاً انت لا شيء.. يا خرا.. يا مرا» (حلاوي، ٢٠٠٢: ٨١). وهي صورة تكشف عن أخلاق البعث البذيئة التي تبنى على احتقار الآخر وامتهان كرامته وصولاً إلى إلغاء وجوده الإنساني بمختلف الأساليب الوحشية وأبشعها، وفي مشهد آخر من الرِّوَايَة تصل مرحلة العُنْف إلى مراحلها الجسدية بما تحمله من ألم وأذىً شديد «ضع رأسيكما في المرحاض؛ ترددا؛ سارع أحد شرطة الانضباط داخلاً ليدوس، على التوالي على ظهريهما حاشراً جسديهما، دافعاً إياهما صوب الفتحة العريضة... أكل عبد الله ضربةً على رأسه ولم يعُد يُبصر شيئاً والرائحة توغل في جوفه ومنخاريه... ضربهما على فخذيهما وإليتيهما ضربات تتردد مع إيقاعات تقيئهما وتخوعهما» (المصدر نفسه: ٨٩-٩٠). هذه الصورة السردية تجسد مدى العُنْف الظاهر وسحق كرامة الإنسان العراقي.

الوصف من أهم العناصر التعبيرية في الرِّوَايَة لبناء فضاء روائي يجسد المواقف والأبعاد النفسية للشخصية فيحاول الراوي من خلال وصف المكان "إسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه" (الحمداني، ١٩٩٣: ٦٢). فيعتمد الوصف الحديث على الإدراك الحسي ووصف تشكلي، بدل التعريف الذهني ووصف تجريدي حيث إن القارئ يتخيل وجود الشئ الموصوف وجوداً حسياً، وفي سبيل الاستحضار الحسي الحي للهيئات والأمكنة، عمدت الرِّوَايَة الحديثة إلى الاستغراق في الوصف لذلك نجد الرِّوَائي يقف عند حيز مكاني ضيق ويخصص له مساحة واسعة في النص (الكردي، ٢٠٠٦: ١٨٧- ١٩٢). واستخدم الراوي في روَايَة ليل البلاد الوصف كآلية مؤثرة لتجسيد العُنْف الظاهري في استحضاره للمكان الرِّوَائي حين يصف البصرة والأجواء الرهيبة التي تلفها: «فالمدينة باتت مقبرة حقيقية لأكثر من مليون إنسان يتوقعون فناءهم، بهلع، بدهشة، وبيأس» (حلاوي، ٢٠٠٢: ٢٧). هذا الوصف يُظهر مدى آثار العُنْف المادي الممارس ضد المواطن حتى أضحت المدينة كأنها مقبرة، وهذه الجملة الثَّقافية تقودنا إلى أن العراق بكل مدنه أصبح يعيش مثل تلك الحالة الرهيبة من الخوف والذعر والبطش الدموي، حيث بدأ روايته بوصف المكان بشكل تراجيدي يظهر شدة التعاسة والمأساة: «ساحة أم البروم ساكنة سكون مقبرة، تقترب منها وئيداً سماءً رصاصية مغبرة» (المصدر نفسه: ٥) فالموت قابعٌ حتى على تلك الأماكن التي هي مظهرُ الحيوية والنشاط والأمل: «السوق موحش صامت مشبه بإيماءات الخوف، بالأيام السريعة الإيقاع، بحساسية الموت القابع في أغوار المدينة، والأزقة الضيقة مغلقة على نفسها، مكتفية بسرّيتها» (المصدر نفسه: ٩). والفضاء الرِّوَائي كحياة تلفها كوابيس العُنْف والموت، وعند وصوله إلى بيته يصفه: «تتنسم الكائنات، الدابة، الزاحفة، روائح البشر فتعرف أن لها أصدقاء في عالم غريب ألفوا الهدوء الذي طاش فجأة وتبدد، مع عواء القذائف وأصداء الانفجارات» (المصدر نفسه: ١٣) فلا يتحسس معاناة هذا الإنسان العراقي إلا تلك الكائنات التي وصفها بكونها صديقة.

يصف الكاتب الجنود القدماء الذين تم فرزهم «بعدما خضعوا لتدريب مضاعف على سبيل تهيئتهم ورفع معنوياتهم لخوض الحرب، للقتل أو الموت قتلاً، لا فرق، فتلك أول بديهية يجب أن يتعلمها من يدخل "مصنع الأبطال" هذا» (المصدر نفسه: ٤١) ويقصد بمصنع الأبطال الاسم الذي كان يطلق على معسكر التدريب، معسكر الموت والعذاب

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

وسحق الكرامة الإنسانية. وكل من تبدر منه أدنى مخالفة فمصيره السجن، وعند محاورته مع رأس عرفاء السرية قال له: «قلت لك السجن، أتفهم؟ السجن ذاك الذي هناك، لاتراه.. أنت لاتراه أنا أعرفه ويعرفه الجنود القدماء، يوم واحد في صالاته يجعلك تندم على الساعة التي ولدتك أمك فيها» (المصدر نفسه: ٤٢)، فجملة "يجعلك تندم على الساعة التي ولدتك أمك فيها" في وصف السجن داخل المعسكرات، جملة ثقافية تصور جانباً من المعاناة التي عاشها مئات الآلاف من العراقيين ممن بقوا على قيد الحياة سواء في سجون تلك المعسكرات أو في سجون الأمن وغيرها، بل إن جملة "أنت لاتراه" تحمل أبعاداً ذات إيحاءات تدل على بشاعة الممارسات التي يتعرض لها من يدخل تلك السجون.

وأما المعسكرات التي هي «سور وبوابة وصحراء، خط عليها "مصنع الأبطال"» (المصدر نفسه: ٣٣)، فمصانع الموت يزج من خلالها العراقيون إلى لهيب المعارك وإلى المصير المجهول، فالإعلام الصاخب شوّه الحقائق وزيفها. وجبهات القتال «مكان للمغامرة ينط فيه الإنسان، يركض، يطلق النار، يقتل ويعود بطلاً حتى ولو في تابوت» (المصدر نفسه: ٤٩) ومن يتفوه بكلمة في السياسة أو يشم منه رائحة الانتماء لحزب سياسي فهو عميل يحكم عليه بالإعدام: «فأغلب من يعرفهم ممن تورط بالسياسة، عض لسانه متأرجحاً فوق الأرض بعدة أشبار» (المصدر نفسه: ٣٧).

وتتواصل عملية استحضار صور المرئيات والأحداث والوقائع الصغيرة والكبيرة عبر ذاكرة الراوي الجماعي في الأغلب مثل شريط سينمائي تم تسريعه قصداً، لتجسد مرثاة حزينة للحياة التي راحت تتعرض للتآكل والدمار، في لغة شاعرة تحول الرِّوَايَة تدريجياً إلى مقطوعة موسيقية من خلال خروج الرِّوَائي عن الاستمرار في استخدام لغة سردية ووصفية تلائم المبنى الرِّوَائي إلى صياغات أسلوبية شعرية وإيقاعية من خلال الاعتماد على بنى التكرار والتوازي (ثامر، ٢٠١٨: ٢٤٢). فتسلط الرِّوَايَة الضوء على عذاب الجنود العراقيين والهاربين، والعُنْف الذي مارسته السُّلْطَة بحقهم في السجون، وكيف يُجبَرونْ على الزحف حتى فتحة المرحاض، وكيف تقوم الشرطة العسكرية بتغطيس رأس الجندي في الخراء، ومشاهد الضرب المبرح للمساجين بالعصي والهراوات (حلاوي، ٢٠٠٢: ٨٩). قد تحول العراق إلى معسكر كبير يسوده الظلام والعذاب والقهر والإذلال، فلا يبقى شيء اسمه الكرامة الإنسانية، ولا في قاموسه معنى للحرية، فهي عبودية بامتياز.

يصف الكاتب في لغة شعرية نابضة الحالات المكانية التي يجد فيها عبدالله نفسه والرعب معاً، فثمة استحضار لدقائق المعسكر العراقي: روحية الضباط، المراتب الأخرى، الجنود وانسحاقهم وإذلالهم، طرائق عيشهم الشبيهة بعيش البهائم، وذلك الروتين القاتل العبثي في السجن والعقوبة والإجازة، يلتحق عبدالله بالمعسكر، ويدخل السجن كونه حليق الشاربين، فالشوارب أصبحت في زمن الحرب رمزاً للرجولة والقوة، فكان سجنه فصلاً مهولاً في تحولاته كإنسان، وفي كل ذلك وظف جنان لغته الزلقة المملوءة بالظلال والمعاني والتساؤلات، في رصد تحولات عبدالله وكيف استحال إلى دودة ما إن دخل في الملابس العسكرية، ثم لاحقاً كيف صار شبحاً بعد ست سنين من ذلك التاريخ (الأنباري، ٢٠٠٢: sauress.com). ورغم طول الرِّوَايَة لايشعر القارئ بالملل أثناء القراءة، لأن الراوي ينتقل برشاقة بين الأحداث المتنوعة والأزمنة المختلفة والأمكنة الكثيرة من بغداد إلى البصرة ثم كردستان وجبهات القتال، ليعبر من خلال ذلك عن محنة الإنسان العراقي في واقع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

مشوه وبائس، كما تكشف بعمق عن الوجه القبيح والمرعب للسلطة الحاكمة، الذي ينتهك الآخر ويمارس بحقه شتى أنواع العُنْف والقسوة المتناهية.

فالرِّوَايَة وثقت لجانب من معاناة الإنسان العراقي خلال الحرب، كونها كتبت من موقع المعايشة والتجربة والمعاينة وشارك مؤلفها في تلك الحرب، وخاض تجربتها المريرة القاسية، لتؤرخ حقبة حكم البعث وما تحمله تلك الحقبة من قتل ومقابر جماعية وإعدامات ميدانية على الجبهات واختفاء وتشرد الملايين، فأضحى الإنسان العراقي في جمهورية من طراز خاص سميت جمهورية الخوف أو جمهورية الصمت.

٧.عنف السُّلْطَة المضمر والبحث عن الْهُوِيَّة الثَّقافية (العُنْف الأيديولوجي والرمزي):

العُنْف «أقصى درجات السُّلْطَة» (التليلي، ٢٠٠٩: ١٦٢) بنوعيها الظاهر والمضمر، وهذا النوع الثاني قد تلجأ له السُّلْطَات المستبدة حين تعجزه النوع الأول، وفي العراق عملت السُّلْطَة كليهما بعد إقدامها على الحرب مع إيران ولاشك أن الحروب تترك آثارها العميقة على الأفراد في مختلف المستويات، وكذلك الحروب في استحضارها إلى عالم الرِّوَايَة فتترك آثارها على الشخصيات الرِّوَائية في مختلف مستوياتها.

تدور الأحداث حول "عبد الله"، الشخصية الرئيسية في رِوَايَة ليل البلاد، داخل العمل السردي ومن ثم يتم إظهار الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي، بينما تمثل الشخصيات الأخرى في الرِّوَايَة، لاسيما شخصية "نوال"، وهي من الشخصيات العابرة (الهامشية) حسب تصنيف برانس(٢٠٠٣: ١٥٩): «على أنها كائن ليس فعالاً في المواقف والأحداث المروية». في حين يمكن اعتبار شخصية "عبد الله" من نوع الفئة الإشارية (الواصلة) التي عرف بأنها دليل على حضور المؤلف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص(هامون، ٢٠١٣: ٣٥). فيستطيع المؤلف بوساطة الشخصية الواصلة إيصال ما يجول في خاطره إلى المتلقي، من خلال رمزية الأفكار المطروحة، أو من خلال أبعادها الثقافية المضمرة التي يستطيع المتلقي اكتشافها عبر الغوص في أعماقها.

رِوَايَة ليل البلاد لسان حال المواطن الذي لم يمتلك أي موقف سياسي من الحرب التي فرضها الطاغية على الشعبين الإيراني والعراقي سوى رفضها، وجعل السُّلْطَة تستخدم مختلف الوسائل لاستمرارها، وقد شكلت هذه الحرب منعطفاً فاصلاً في كينونة الفرد والمجتمع العراقي، إذ أدت إلى تغيرات بنيوية عصفت بمنظومة المجتمع الثقافية والقيمية، لأن ثمنها تدمير "الإنسان" وضياعه وتحطيم قيمه وتحويل الشعب إلى جماجم وهياكل عظمية تسير في الشارع منزوعة النخاع شخصيات تافهة تطحنها مشاعر الدونية والعجز واللاجدوى (إمام، ١٩٩٤: ٥-٦). فلم يعد العراقي نفسه الذي كان قبل الحرب.

وحاولت الرِّوَايَة تجسيد هذه المعاناة النفسية للفرد العراقي من خلال استحضارها لمجموعة من الفضاءات المكانية «فيما نقاط متوهجة تتلألأ في مدخل المغايز: أضواء مصابيح نفطية معلقة فوق عربات خشبية، مصفحة بالتنك، تقدّم وجبات

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

خفيفة من البيض والباقلاء، سينما الكرنك مغلقة، وموقف سيارات بصرة – شعيبة خلا تقريباً، بعد أن غادر الجنود إلى وحداتهم وثكناتهم. الهدوء هنا مشوب بالموت: ثقيل وحذر، والمكان يتنفس ببطءٍ كأن ثقلاً غير مرئي يجثم عليه، وومضات الأنوار المتفرقة، المفككة، تهب الساحة شكلاً غيميّاً من ظلال وعتمة موارية: حال تقبض الروح.... بدا التمثال الصدئ لعامل يرفع مطرقة في الساحة، لايعني شيئاً سوى كتلة زائدة، شاخصة، تريد تغليل الحقيقة بانطباع كاذب» (حلاوي، ٢٠٠٢: ٥-٦)، وتجلى في الرِّوَايَة الإحساس بالخوف من الحرب ومن السُّلْطَة التي تمكنت بجبروتها واستخدامها العُنْف المفرط من فرض هيمنتها على الناس: «شارع "الكويت" خال إلا من بضع شاحنات."زيل" همدت جانباً، نام سواقها، فلمح بينها سيارة "واز" صغيرة، موشومة بخط أحمر يطوّق هيكلها، فعرف أنهم رجال الانضباط العسكري. تحسس الْهُوِيَّة المزورة في جيبه، خفق قلبه وفكّر متسائلاً: ماذا بعد البيت إذا وصله، وكيف ستجري الأمور، والمدينة ملغومة بالحزبيين والجيش الشعبي، برجال الانضباط العسكري والمخبرين وقوات الأمن وجنود الاستخبارات؟؟؟» (المصدر نفسه: ٨). ولم تكن الْهُوِيَّةُ المزورة سلاحه للخلاص من تلك الأجهزة القمعية وإنما «وقف عبد الله بملابسه الجامعية التي يرتديها تمويهاً خوف الانضباط العسكري» (المصدر نفسه: ١١). إن استخدام العُنْف يحصل غالباً في الصراع السُّلْطَوي السِّياسيّ لإفناء الآخر، لكن القمع البعثي تجاوز تلك المرحلة وجعل من الشعب حطباً لحماقاته وحروبه العبثية.

ومن مظاهر العُنْف النفسي في الرِّوَايَة، وصف عبد الله حين تقديم أوراقه إلى تجنيد البصرة وهو ينتظر الدخول على الضابط: «بات عبدالله صغيراً مثل بعوضة واجفة يمكن طردها، دعسها، وقتلها. الدقائق تتسرب وهو يصغر، صار دودة تدب بين الأحذية يمكن أن تداس في أية لحظة. الدقائق تمضي، والعقيد أمسى كأبيه يستطيع سبه، ركله، والمراسل يضحك» (المصدر نفسه: ٢٤) وعند دخوله على نائب الضابط الذي قال له إن العقيد في حالة نفسية جيدة، وإن أمثالك يجب تأديبهم «كان طول عبدالله، كما قلنا، ١٧٥ سنتمتراً، وكان قد صغر قبل أقل من ساعة ونصف، ٧٠ سنتمترا، وها هو يصغر ٩٠ سنتمتراً أخرى، فصار بطول دودة: دودة تختض، محنية، لها وجه بشري يعرق، وخد يرتجف، وعينان مذعورتان تقبلان أي شيء»(المصدر نفسه: ٢٤) ، وعند خروجه من السجن: «كان عبدالله مشلولاً بخوفه ورعبه أكثر بكثير من عذاب الضرب المبرح. ساعات مرت وهو لايأكل أو يشرب، والحارس كلما بدل الوجبة رفسه مبرباً: كُل حتى تنهض» (المصدر نفسه: ١١١). هذه النماذج تُبدي حالات الخوف والإهانة المفرطة، وحالة القلق من المجهول الذي ينتظره. هذا العُنْف النفسي كان أشدُّ وقعاً على شخصية عبدالله، فصار مشلولاً بخوفه ورعبه، لا بالعُنْف الجسدي الذي تلقاه.

تدور كل الأحداث داخل الرِّوَايَة حول شخصية "عبدالله" الرئيسة، لأن الوظائف التي «تسند للبطل وظائف وأدوار لاتسند إلى الشخصيات الأخرى» (بوعزة، ٢٠٠٧: ٤٣) فالعُنْف المضمر يتجلى في تفكير عبدالله حول مصيره المجهول «إن مشاعر البؤس واليأس والضيق لتسيطر على الجنود المطلق سراحهم، ... لميعد أمر إطلاق سراحهم يعنيهم كثيراً، بل العكس فهم يفضلون السجن في أحايين كثيرة، ولايفكرون لماماً بالهرب منه، أما إحساس عبدالله فمختلف، وهو يتلهف

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

لمعرفة مصيره دون أن يدري بالضبط أين ومتى وكيف سيكون ذاك المصير، إنما خلاصه من السجن حرره بعض الوقت من متاهة خوف ورعب وأسئلة مضنية، وما ارتياحه البسيط إلا عودته إلى المسار الطبيعي كجندي عادي مكلف مثل بقية الجنود، ولا أحد يتكهن بما سيحصل حقاً» (حلاوي، ٢٠٠٢: ١١٦). ورغم مقاومته للواقع المرير الذي يعيشه إلا أنه لايخفي حقيقة الانهزام المفروض الذي لامفر منه، لذلك تتكرر ثيمة الموت كثيراً في الرِّوَايَة منذ بدايتها مما يوحي بالحالة السوداوية التي وصل إليها واقع المجتمع العراقي «الهدوء هنا مشوب بالموت، ثقيل وحذر» (المصدر نفسه: ٥)

والمكان الرِّوَائي، مثل الشخصية، تحول إلى شكل آخر يوحي بالموت: «هنا في هذا المكان نصبت المشانق، ذات يوم، قبل سنين، لجواسيس يهود، على أعمدة ملاعب الأطفال، ... وبقايا أعمدة الأراجيح تستحوذ على تاريخ الساحة بأشباح الجثث المعلقة...، تذكّرها عبد الله كأن الصور تحضره الآن تماماً، حينما وقف تحت جثة زلخا المعلقة، والهواء يحركها بخفوت، كما الملابس التي تعلقها أمه على حبل الغسيل، تذكّر حين مسّ القدم الميتة بإصبعه فناست حتى راقت له اللعبة، ولكان استمر لولا أن انتبه له شرطي، يصرخ مفرّقاً الجمهور المحتشد... لم يشعر ساعتها بالغثيان، ولا برغبة بالقيء، إنما برثاثة هيئة الموت، أهكذا يموت الناس: يتحولون إلى بنطلون طائر، برأس مكنسة، وعينين كعيني فأر؟» (المصدر نفسه: ٦). فلصورة المكان السردية هذه مفارقة ساخرة حين تتحول أعمدة ملاعب الأطفال إلى مشانق الإعدام. والراوي هنا لا ينفك عن سيطرة الأنساق الثقافية التي ولدها العُنْف المتتابع في مجتمعه، فالمكان الكئيب يولد الحزن، فشخصيته "عبدالله" رغم حزنها، تسخر من حالة رثاثة هيئة الموت إلا أنها لا ترى غضاضة حين تمس القدم الميتة بإصبعه، ومع كونه يرى جثة للمرة الأولى في حياته منتصبة في الهواء إلا أن اللعبة راقت له. فللمكان وللشخصية علاقة مترابطة مع بعضها «لم يعد المكان مجرد إطار هندسي يتواجد فيه البطل أو الشخصية، وإنما صار يؤثر في الشخصية من ناحية الأحداث ويدفعها إلى الفعل، كما أن وصف المكان يعني وصف مستقبل الشخصية» (هامون، ٢٠١٣: ١٣١).

لم يعد هناك أمل، فالجميع ضاعت أحلامهم، ولم يبق أمامهم إلا الموت، ترمز شخصية "عبد الله"، إلى حياة المواطن العراقي الكئيبة التي أجاد الراوي في وصفها «بعد ساعات سيعج هذا المكان بالناس، بالمارة، وهم يبحلقون أكثر مما يشترون، يمشون أكثر مما يتوقفون، يهرعون إلى أماكنهم حيث ينتظرون موتهم، كل دقيقة في الأقبية المظلمة، والبيوت البائدة، لكن اليوم تم ابتكار موت جديد، له طعم مختلف، تم ابتكار الحرب لهؤلاء الذين يذهبون صاغرين أول الأمر، ثم ينكفئون هاربين، وقد خلفوا ورائهم أشلاء إخوتهم» (حلاوي، ٢٠٠٢: ٧). فأصبح الموت سيد اللحظة في كل مكان: «ضفاف شط العرب الذي يشق مدينة البصرة، كما تشق أم زيقها على ولدها القتيل، والبصرة ساكنة تتطلع إلى الموت بانتظار دورها القادم، الذي كان على كل حال مقبلاً لاريب، بثقة وقوة لا مرد لهما، فالموت سيد اللحظة، وسطوته لم تعد خافية» (المصدر نفسه: ٨). إنها حالة الضياع والبؤس التي يعيشها الإنسان وهو في بلده عندما تسود أجواء العُنْف والظلم والاستبداد، فيتحول الإنسان إلى طيور تائهة يساورها القلق دائماً: «وطيور تائهة محتارة متجهة شمالاً عكس مساراتها الطبيعية، بعدما فاجأها القصف فنكصت إلى جهة غير محددة، هائمةً في لجة اللااتجاه لعلها تغالب الموت أو تتوارى في

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

المنافي البعيدة. كما لو كان في مدينة تائهاً، وغريباً، وحذراً» (المصدر نفسه: ٣٣).

وها هي "نوال"، (الشخصية الهامشية) امرأة كردية هاربة من أهلها، تشكو من رماد الحياة! «النائمون يستيقظون يغسلون وجوههم، أحلامهم وحياتهم من رماد البارحة، ليستقبلوا اليوم رماداً جديداً: رماد الحياة»(المصدر نفسه: ٩). وعبدالله لايدري ماذا سيفعل بنوال، سيمضي بضعة أيام ثم يهرب إلى مكان آخر، ونوال ماذا سيفعل بها؟ لا يدري، البارحة فقط، كان سكراناً، غازلها، تحرش بها، رضخت، لم يفهم شيئاً منها سوى كونها كردية هاربة من أهلها في "أربيل" لاتعرف من العربيَّة غير بضع كلمات، ساعتها حفزته هواجسه على العودة إلى البصرة، لن يستطيع العيش في بغداد أكثر، بعدما صارت في غمضة عين شوارع تلبس الكاكي، والكل يريد أن يحارب، راكضاً في الشوارع ينادي بالموت للإيرانيين. أخذته الظنون، والقلق يعصف برأسه، شاكاً بمصيره حقاً. لا مكان له. أين سيمضي بـ ٦٥ كلغ: هي كل وزنه؟ لا مجال، سيمضي إلى الحرب، فالموت أمامه ووراءه، فوقه وتحته، الأسلم تسليم نفسه، لكن ما مصير نوال؟ (المصدر نفسه: ٨١). فالكاتب يصور ببراعة حالة التيه والمجهول والغموض التي يتجه نحوها الجميع، حيث أصبحت هي السمة الغالبة والطاغية على الحياة الاجتماعية، وعبارة «والكل يريد أن يحارب، راكضاً في الشوارع ينادي بالموت للإيرانيين» توضح بشكل جلي حالة التهويل الإعلامي الكبير التي عمل النظام عليها وأخذت تؤثر في العقلية الجمعية للمجتمع، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ما عمل عليه النظام بشتى الطرق والوسائل لغرض بناء ثقافة نسقية تتبنى العداء للإيرانيين، وهو النَّسق المهيمن لأنه نسق السُّلْطَة الحاكمة، لكن في المقابل يوجد نسق آخر مهمش مسحوق، النَّسق المعارض الذي لا يسمح له بالعيش ومصيره الموت والمجهول، وهذا الأمر يكشف محنة الذات المهمشة التي تخالف توجهات السُّلْطَة، محنة الصراع والمقاومة المستمرة التي تحاول مخالفة النَّسق السُّلْطَوي.

وظف الراوي لغته الشعرية ذات تموجات موسيقية خفيفة الإيقاع، في وصف الحال المكانية والإنسانية للشخصيات، ليخلق صوراً فتاكةً للعنف بأنواعه، فيحتاج القارئ إلى تركيز العين والأذن والذهن لسماعها والإحساس بها، ولولا انحدار بطل الرِّوَايَة (عبدالله) من عائلة بسيطة تسكن البصرة مكونة من أب وأخ متأتئ وأم فلاحة وثلاث أخوات، لظن القارئ أنه شبح كتب عليه وعلى شعبه العذاب والبؤس والشقاء ليعانوا من سلطة إجرامية لا تعرف الشفقة ومن حرب لا ترحم، هكذا فهم الجندي المكلف عبدالله خلال ما يدور حوله، لذلك كره الحرب والعقداء والضباط والانتصارات والسجون. كثيراً ما ينتقل الكاتب ببطله إلى سماء الحلم، لكنه حلم شاذ وغرائبي، مملوء بالكوابيس والأشباح في متاهة لم يعد عبد الله يعرف كيف يفلت منها. يُسجن، يهرب، يعود إلى السجن، يُنقل إلى جبهة الحرب، يرجع إلى أهله بحثاً عن حبيبة مرت مثل طيف، وليس هناك من أمل في هذه المملكة الجحيمية التي حولت هذا الإنسان المسالم إلى شخصية مهشمة بكل معنى الكلمة (الأنباري، ٢٠٠٢: sauress/alhayat.com).

لقد عمل الرِّوَائي على عكس ذلك الواقع المؤلم الذي عاشه المواطن العراقي وبكل تفاصيله الدقيقة من خلال معاناة الشخصية الرِّوَائية التي تعرضت لمختلف أنواع العنف من النظام الصدامي القمعي، إنها في العراق يمكن عدها حالة فريدة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

ومن نوع خاص لأن حالة العُنْف التي أوجدها الطاغية صدام تمثل مرحلة من أخطر المراحل التي عاشها المجتمع العراقي فقد كان صدام مغرماً بالعُنْف، وشجع على خلق البيئة المناسبة للشخصيات الإجرامية، وذهب بالعُنْف التاريخي إلى أقصاه. ليصبح حزب البعث والطاغية صدام مهيمناً على كل شيء وأصبح الحزب هو الوطن، إذ أفرزت تلك الظروف العنيفة والكابوسية وضعا ثقافيا داخل العراق لميكن أمام العديد من الكتاب أي خيار، فأما التحول إلى بوق من أبواق الدعاية لإعلام النظام أو التغييب في المعتقلات، مما اضطر الكثير منهم للهرب خارج العراق.

تسلط الرِّوَايَة الضوء على حقبة الدكتاتورية البعثية وممارستها العُنْف الظاهر والمضمر، تلك الممارسات التي رسخت جذور العُنْف، لذلك أصبحت تلك الحالة ظاهرةً اجتماعيةً تخفى وتضمر احياناً لكنها تظهر بقوة عندما تجد الظرف الملائم للظهور، فحتى عندما سقط النظام لم تنتهِ مظاهر العُنْف التي رسخت جذورها في المجتمع من خلال الأعمال الإرهابية التي قام بها بقايا ذلك النظام وشذاذ الآفاق (داعش)، ولا تخفى على الجميع المجزرة التي قام بها هؤلاء في مدينة تكريت مسقط رأس النظام، وأعني بذلك مجزرة سبايكر التي راح ضحيتها آلاف الشباب البريء، لا لسبب؛ إلا لانتمائهم المذهبي وكونهم من أتباع مدرسة أهل البيت، وهذا النهج بمختلف مسمياته وأشكاله يمثل امتداداً حقيقياً لذلك النظام القمعي وبشاعته.

٨.خاتمة البحث

يمكن استخلاص مجموعة من النتائج أهمها:

– كشفت الرِّوَايَة عن أنساق العُنْف الممنهج الذي مارسته السُّلْطَة الديكتاتورية في تلك المرحلة والتي عانى ويلاتها الإنسان العراقي، والتي احتفت بمجموعة من التمظهرات العُنْفية بأشكالها الظاهرة والمضمرة (العُنْف اللفظي، والنفسي، والفكري، والجسدي) والذي حاول أعلام النظام تغييبه وتغطيته وإخفاءه بقيم زائفة غير حقيقية كالوطنية والكرامة والعزة.

– لم تكن ظاهرة العُنْف التي تناولتها الرِّوَايَة حالةً عابرةً، وإنما تمثل ثيمة مركزية فيها واجهتها الشخصية الرِّوَائية في مختلف المراحل والمحطات التي عاشتها، وقد أنتجت تلك الظاهرة والممارسات القمعية ولعقود طويلة من الزمن تراكمات سلبية على الشخصية العراقية ومنها تمزق الذات وضياع الهُوِيَّة ومحاولة محوها.

– تُظهر الرِّوَايَة الأنساق الثَّقافية لحالة العُنْف السُّلْطَوي من خلال إماطة اللثام عن بواعثها الكامنة خلف إنتاج تلك الحالة العدوانية التي تتمظهر بالطابع العُنْفي، والتي تنتج وتولد أنساقاً مختلفة أضرَّت بالمنظومة الاجتماعية والفكرية للإنسان العراقي.

– رصدت الرِّوَايَة مركزية السُّلْطَة من خلال أساليبها الاستبدادية، وهامشية الإنسان العراقي من خلال محنة الذات المهمشة ومحاولة إلغاء كل نسق يخالف توجهات وأفكار السُّلْطَة ولايسير وفق مساراتها المنحرفة، وهذا يظهر بشكل جلي من خلال حالة الصراع والمقاومة المستمرة بين الأنا والآخر (السُّلْطَة المستبدة وعامة الشعب).

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

– أنتج العُنْف السُّلْطَوي حالة سوداوية قاتمة وانسداد لأفق المستقبل والسير نحو المجهول، من خلال الظاهرة التي لاتنتهي آثارها بسهولة عند انتهاء الحكم الديكتاتوري، مما يؤكد أهمية العمل على تصحيح وترميم مسارات الأنساق الثَّقافية ومحاولة كشف الزائف منها وفضحه؛ لأن كشف تلك الأنساق الثَّقافية تمثل تصحيحا مهما للتاريخ ويخرجنا من حالة العمى الثَّقافي إلى حالة الوعي الثَّقافي، كونه يحاول نقل حقائق تلك الحقبة بأمانة وحيادية إلى الأجيال اللاحقة بعيداً عن التزييف المقصود والممنهج.

٩–الهوامش

(١) **جنان جاسم حلاوي: كاتب** عراقي من مواليد ١٩٥٦. درس الهندسة الكهربائية في العراق وعمل في الصحافة اللبنانية، خاصة في جريدة النهار. يقيم في السويد منذ عام ١٩٩٢. صدر له سبع مجموعات قصصية وثلاثة دواوين شعر وعدد من الروايات منها: "ياكوكتي" (١٩٩١)، "ليل البلاد" (٢٠٠٢) التي صدرت في ترجمة فرنسية عام ٢٠٠٥، "دروب وغبار" (٢٠٠٣)، "أماكن حارّة" (٢٠٠٦)، "هواء قليل" (٢٠٠٩) و"أهل النخيل" (٢٠١٥)، "البستان والغرباء" (٢٠١٩).

١٠–المصادر والمراجع

[١] إبراهيم، سلام، (٢٠١٢)، **الرِّوَايَة العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الديكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف**، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مجلة تبيّن، العدد ٢: ١٩٥–١٧٥

[٢] _____، (٢٠١٤) **الكاتب، النص، الحياة، الكتابة ليست نزهة ولا لعبا بالكلمات**، مجلة الكلمة، العدد ٨٢ فبراير. http://alkalimah.net/Articles/Read?id=٦٧٠&dossier=true

[٣] إبراهيم، عبدالخالق كاظم؛ ميرزائي، فرامرز، (٢٠٢٢) **الإثنوغرافيا وتجليات الأنساق الثقافية المضمرة في رواية ليل البلاد للروائي العراقي جنان جاسم الحلاوي**، مستغانم الجزائر، مجلة المرتقى، المجلد الخامس، العدد ٠١: ٩٨–٨٠

[٤] ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٧٩)، **لسان العرب**، ج١٥، دار المعارف، القاهرة.

[٥] إمام، عبد الفتاح إمام، (١٩٩٤)، **الطاغية، دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السِّياسيّ**، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

[٦] الأنباري، شاكر، (٢٠٠٢)، **روَايَة "ليل البلاد" لجنان جاسم حلاوي المواطن الطيب في جحيم العراق**، نشر في الحياة يوم ٠٨ – ١٢ /https://www.sauress.com/alhayat/٣١١١٨٦٧٧

[٧] بارت، رولان، (١٩٩٣)، **المغامرة السيميولوجية**، ترجمة: عبد الرحيم حزل، مراكش، ط١.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

[٨] برانس، جيراند، (٢٠٠٣)، **قاموس السرديات**، ترجمة السيد إمام، القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات، ط١.
[٩] بدوي، أحمد زكي، (١٩٧٨)، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، بيروت، مكتبة لبنان.
[١٠] بوعزة، محمد، (٢٠٠٧)، **الدليل إلى التحليل السردي (تقنيات ومناهج)**، دار الحرف للنشر والتوزيع، ط١.
[١١] التليلي، عبد الرحمن، (٢٠٠٩)، **عنف على الجسد**، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد٤، المجلد ٣٧، ٢٠٠٩: ١٦٥-١٥١.
[١٢] ثامر، فاضل، (٢٠١٨)، **التأريخ والسردي في الرِّوَايَة العربيَّة**، بيروت، دارالروافد الثَّقافية.
[١٣] التميمي، عبد الله حبيب، والشجيري، سحر كاظم حمزة، (٢٠١٤)، **دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر**، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، م٢٢، ع٢: ٣٣٩-٣١٤.
[١٤] جهاد، كاظم، (٢٠٠٣)، **ثلاثة وجوه للعراق: قراءة في روايات للتكرلي وحلاّوي والإنباري**، مجلة النهار، الأحد ١٦شباط): http://www.mafhoum.com/press٤muli١٣٣/htm.
[١٥] حجازي، أحمد مجدي، وقناوي، شادية علي، (١٩٩٥)، **المخدرات وواقع العالم الثالث، دراسة حالة لأحد المجتمعات العربيَّة**، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، ج١، ع١، القاهرة.
[١٦] الحسني، آلاء محسن حسن، (٢٠٢١) **العُنْف ضد الإنسان في الرِّوَايَة العراقية قراءة في روَايَة حيدر كاظم المعموري (لا حياة في هذه المدينة)**، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، العام الثامن، العدد ٦٧، يناير:٤٠-٢٧.
[١٧] حسين، محمد السيد حسن، (٢٠١٩)، **العتبات النصية في روَايَة الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني مقاربة سيميائية**، مجلة جامعة الجوف، العدد السادس:١٧٠-١٣٥.
[١٨] حلاوي، جنان جاسم، (٢٠٠٢)، **روَايَة ليل البلاد**، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١.
[١٩] حميد، باسم صالح، (٢٠١٧)، **الجسد في روايات العُنْف في العراق، دراسة في نماذج من روَايَة ما بعد التغيير في العراق**، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد ٢: ٥٨-٣٥.
[٢٠] الرّباعي، عبد القادر، (٢٠٠٧)، **تحولات النَّقد الثَّقافي**، عمان(الأردن)، دارجرير للنشر والتوزيع، ط١.
[٢١] زايتلن، أرفنج، (١٩٨٩)، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، ترجمة: محمد عودة والآخرون، الكويت، ذات السلاسل،ط١.
[٢٢] سبيلا، محمد، (٢٠٠٩)، **مدارات الحداثة**، بيروت، الشبكة العربيَّة للأبحاث والنشر، ط١.
[٢٣] كاظم، نادر، (٢٠١٦)، **الْهُوِيَّةُ والسرد – دراسات في النظرية والنَّقد الثَّقافي**، الكويت، دار الفراشة للنشر والتوزيع، ط٢.
[٢٤] ـــــــــ، (٢٠٠٤)، **تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط**،بيروت، المؤسسة العربيَّة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

للدراسات والنشر، ط١.

[٢٥] الكردي، عبدالرحيم، (٢٠٠٦)، **السرد في الرِّوَايَة المعاصرة(الرجل الذي فقد ظله نموذجا)**، القاهرة، مكتبة الآداب، ط١.

[٢٦] العبودي، ضياء غني، (٢٠٢٠)، **العُنْف السِّياسيّ في روَايَة طيور التاجي لإسماعيل فهد إسماعيل**، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية مجلد: ٠٢عدد: ٢: ٢٧٧-٢٥٥.

[٢٧] العكرة، أدونيس، (١٩٨٦)، «**عنف**» **الموسوعة الفلسفية العربيَّة**، مجلد١،بيروت، معهد الإنماء العربي، ط١.

[٢٨] عليمات، يوسف، (٢٠٠٤)، **جماليات التحليل الثَّقافي "الشعر الجاهلي نموذجاً"**، بيروت، المؤسسة العربيَّة للدِّراسات والنشر، ط١.

[٢٩] الغذَّامي، عبد الله محمد، (٢٠٠١)، **النَّقد الثَّقافي قراءة في الأنساق الثَّقافية**، بيروت/ الدار البيضاء: المركز الثَّقافي العربيّ، ط٢.

[٣٠] المرازيق، أحمد جمال، (٢٠٠٩)، **جماليات النَّقد الثَّقافي، نحو رؤية للأنساق الثَّقافية في الشعر الأندلسي**، بيروت، المؤسسة العربيَّة للدِّراسات والنشر، ط١.

[٣١] لحمداني، حميد، (١٩٩٣)، **بنية النص السردي، من منظور النَّقد الأدبي**، بيروت، المركز الثَّقافي العربي، ط٢.

[٣٢] مجموعة من الباحثين الفرنسيين، (١٩٩٣)، **المجتمع والعُنْف**، بيروت، منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، من سلسلة "اقتصاد وإنسانية"، ط٣.

[٣٣] المتنبي، أبوالطيب، (١٩٨٣)، **ديوان المتنبي**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر.

[٣٤] ميرزائي، فرامرز، وهنري لطيف پور، ويدالله، رهبرتجارت، محبوبة، (١٣٩٧)، **العُنْف السِّياسيّ: الجماعي والحكومي وآثارهما في روَايَة «نجمة أغسطس» لصنع الله ابراهيم**، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٤٦: ١٤٠- ١١٩.

[٣٥] هامون، فيليب، (٢٠١٣)، **سيميولوجية الشخصية الرِّوَائية**، ترجمة سعيد بنكراد، تقديم: عبدالفتاح كيليطو، سوريا، دار الحوار اللاذقية، ط١.

[٣٦] هاميلتون وآخرون، (٢٠٠٥)، **القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية**، مراجعة وإشراف رضوى عاشور، موسوعة كمبريدج في النَّقد الأدبي الكلاسيكي، ج١٩، القاهرة، المجلس الأعلى للثَّقافة، ط١.

References

[1] Ibrahim, Salam, (2012). 'The Iraqi Novel: Monitoring the Iraqi Devastation in Times of Dictatorship, Wars, Occupation and Sects' Authority, Doha, Arab Center for Research and Policy Studies, *Tabeen Magazine*, No. 2., Pp. 175-195.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

[2] _____, (2014). 'The writer, the text, the life, the writing is neither a picnic nor a play with words. When culture is a mask for political violence', *Al-Kalima Magazine*, February 82.
[3] http://alkalimah.net/Articles/Read?id=67٠&dossier=true
[4] Ibrahim, Abdul-Khaliq Kazem; Mirzaei, Framarz, (2022). 'Ethnography and the manifestations of cultural patterns implicit in the novel (The Night of the Country) by the Iraqi novelist Janan Jassim Halawi, Mostaganem of Algeria', Al-Mourtaka Magazine, Volume V, Issue 1, Pp. 80-98
[5] Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, (1979). *Lisan al-Arab*, Vol. 15, Cairo: Dar Al Maaref.
[6] Imam, Abdul-Fattah Imam (1994). 'The Tyrant, a Philosophical Study of Images of Political Tyranny', *The World of Knowledge*, Kuwait, the National Council for Culture, Arts and Letters.
[7] Al-Anbari, Shaker (2002). The novel "The Night of the Country" by Janan Jassem Halawi, The Good Citizen in the Hell of Iraq, published in Al-Hayat on 8-12 https://www.sauress.com/alhayat/31118677
[8] Barthes, Roland, (1993). *The Semiological Adventure*, Translated by: Abd al-Rahim Hazal, Marrakesh, 1st Edition.
[9] Prince, Girand, (2003). *Narrative Dictionary*, Translated by Mr. Imam, Merritt for Publishing and Information, Cairo: Egypt, 1st Edition.
[10] Badawi, Ahmed Zaki, (1978). *A Dictionary of Social Sciences Terms*, Beirut: Library of Lebanon.
[11] Bouazza, Mohamed, (2007). *The Guide to Narrative Analysis (Techniques and Methods)*, Dar Al Harf for Publishing and Distribution, 1st Edition.
[12] Al-Tilili, Abdul Rahman, (2009). 'Violence on the Body', *World of Thought Magazine*, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, No. 4, Volume 37, 2009, Pp.151-165.
[13] Thamer, Fadel, (2018), *History and Narrative in the Arabic Novel*. Dar al-Rawafed al-Thaqafia Publishers.
[14] Al-Tamimi, Abdullah Habib, and Al-Shujairi, Sahar Kazem Hamza, (2014). 'The inferiority and superiority of women in pre-Islamic society and their supremacy in poetry', *Babylon University Journal for Human Sciences*, Vol. 22.
[15] Jihad, Kazem, (2003). 'Three Faces of Iraq: A Reading in the Narratives of Al-Takarli, Hallawi and Al-Anbari'. http://www.mafhoum.com/press4/muli133.htm
[16] Hegazy, Ahmed Magdy, and Kenawy, Shadia Ali, (1995). Drugs and the reality of the third world, a case study of an Arab society, *Cairo Journal of Social Work*, Vol. 1, Cairo.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

[17] Al-Hasani, Alaa Mohsen Hassan, (2021). 'Violence against Humans in the Iraqi Novel, Reading in the Novel of Haider Kazem Al-Mamouri (There is no life in this city)', *Jill Journal for Literary and Intellectual Studies*, Year Eight, No. 67, Pp. 27-40.

[18] Hussein, Muhammad Al-Sayyid Hassan, (2019). 'Textual thresholds in the novel Al-Jawhara and the Captain by Zuwayna Al-Kalbani, a semiotic approach', *Al-Jouf University Journal*, No. 6, Pp.135-170.

[19] Halawi, Janan Jassem, (2002). *The Night of the Country*, Beirut: Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, 1st Edition.

[20] Hamid, Bassem Salih, (2017). .The Body in the Narratives of Violence in Iraq, A Study of Models from the Post-Change Novel in Iraq, *Journal of the College of Education*, Al-Mustansiriya University, No. 2, Pp. 35-58.

[21] Al-Rubai, Abdul Qader, (2007). *Cultural Criticism Transformations*, Amman: Jarir Publishing and Distribution House, 1st Edition.

[22] Zeitlin, Irving, (1989). *Contemporary Theory in Sociology*, see: Muhammad Odeh and others, Kuwait: That Al Salasil.

[23] Sabila, Muhammad, (2009). *Orbits of Modernity*, Beirut: The Arab Network for Research and Publishing, 1st Edition.

[24] Kazem, Nader, (2016). *Identity and Narrative - Studies in Theory and Cultural Criticism*, Kuwait: Dar Al-Farsha for Publishing and Distribution, 2nd Edition.

[25] _____, (2004). *Representations of the Other - The Image of Blacks in the Mediated Arab Imagination*, The Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st Edition.

[26] Al-Kurdi, Abdel Rahim, (2006). *Narration in the Contemporary Novel (The Man Who Lost His Shadow as a Model)* Cairo: Library of Arts, 1st Edition.

[27] Al-Aboudi, Dia Ghani, (2020). Political Violence in the Novel of Taji Birds by Ismail Fahd Ismail, *The Reader Journal for Literary, Critical and Linguistic Studies* Volume: 2, Issue: 2: Pp. 255-277.

[28] Al-Akra, Adonis, (1986). 'Violence' *The Arab Philosophical Encyclopedia*, Volume 1, Institute of Arab Development, 1st Edition.

[29] Alimat, Youssef, (2004). *Aesthetics of cultural analysis "pre-Islamic poetry as a model"*, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st Edition.

[30] Al-Ghadami, Abdullah Muhammad, (2001). *Cultural Criticism, Reading in Cultural Forms*, Beirut/Casablanca: The Arab Cultural Center, 2nd Edition.

[31] Al-Maraziq, Ahmed Jamal, (2009). *Aesthetics of cultural criticism, towards a vision of cultural patterns in Andalusian poetry*, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Lebanon, 1st Edition.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

[32] Lehamdani, Hamid, (1993). *Narrative Structure of Texts from the Perspective of Literary Criticism*, The Arab Cultural Center, 2nd Edition.

[33] A group of French researchers, (1993). Society and Violence, Beirut, Publications of the University Foundation for Studies and Publishing, from the "Economy and Humanity" series, 3rd edition.

[34] Al-Mutanabbi, Abu Al-Tayeb, (1983). *Al-Mutanabbi Diwan*, Beirut: Dar Beirut for Printing and Publishing.

[35] Mirzaei, Framarz, Henry Latifpour, Widallah, Rhebertgart, Mahbouba, (1397). 'Political Violence: Collective and Governmental Violence and Their Effects in the Novel "The August Star' by Sanallah Ibrahim. *Journal of the Iranian Society for Arabic Language and Literature*, No. 46, Pp. 119-140

[36] Hamoun, Philip, (2013). *The Semiology of the Novelist's Personality*, Translated by Said Benkrad, Presented by Abdel Fattah Kilito, Latakia: House of Dialogue, Syria, 1st Edition.

[37] Hamilton et al., (2005). The Twentieth Century, historical, philosophical and psychological approaches, reviewed and supervised by Radwa Ashour, *Cambridge Encyclopedia of Classical Literary Criticism*, Vol. 19, Cairo: Supreme Council of Culture.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

State Violence and Tyranny in the Novel *The Country Night* by Janan Jassem Hallawi: A Study in Light of Cultural Criticism

Abdul-Khaliq Kazem Ibrahim[1], Framarz Mirzaei[2*], Khalil Parvini[3]

1. PhD student in Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University
2. Professor of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University
3. Professor of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University

Abstract

The novel, with the tool of language, represents the real world and like a video camera reveals different cultural, political, social and historical aspects of the society and their role in the cultural identity. The study of the narrative text helps search about the implicit pattern behind the apparent text and its technical esthetics. With an analytical-descriptive approach as well as through a cultural critical tool and its procedures, this study tries to focus on the parallel cultural patterns hidden behind the linguistic construction of the text in the novel "The Country Night" by Janan Jassim Hallway and present a perception about cultural patterns in their aesthetic and ugly dimensions. An esthetics lead to cultural awareness, but the ugliness is the systemic defects hidden under the mantle of the aesthetic as one of the cultural tricks that lead to cultural blindness. The obvious cultural habits of the war discourse in this novel are the dignity, honor, and defense of the eastern front of the Arab world, as opposed to harsh and hidden cultural practices of the regime. The fictional character (Abdullah), like any Iraqi, feels an identity crisis in the face of repressive behavior. Even the place in the story changes from a happy (a place for children to play) to a sad (a place of execution) one to shows the dominance of cultural practices created by state violence in the Iraqi society.

Keywords: Cultural Criticism; State Violence; Janan Jassem Hallawi; *The Country Night*.

[*] Corresponding Author Email: f_mirzaei@modares.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]

خشونت و استبداد دولتی در داستان (شب میهن) اثر داستان نویس عراقی جنان جاسم حلاوی مطالعه‌ای در پرتو نقد فرهنگی

عبدالخالق کاظم ابراهیم[۱]، فرامرز میرزائی*[۲]، خلیل پروینی[۳]

۱. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس
۲.استاد زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربی مدرس
۳.استاد زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس

چکیده

داستان، با ابزار زبان، جهان واقع را بازنمائی می‌کند و مانند یک دوربین فیلمبرداری زاویای گوناگون فرهنگی، سیاسی، اجتماعی و تاریخی جامعه و نقش آنها را در هویت فرهنگی نشان می‌دهد. با تحلیل متن داستانی، می-توان رویه‌های فرهنگی نادیده را که در پس پرده ظاهر و زیبایی‌های متن پنهان شده است، آشکار نمود. این پژوهش می‌خواهد با روش وصفی -تحلیلی و با ابزارهای نقد فرهنگی و روش‌های اجرای آن، رویه‌های فرهنگی پنهان در ساخت زبانی متن داستانی در رمان" شب میهن" اثر جنان جاسم حلاوی را روشن نماید و آنها را در دو بعد زیبا و زشت نشان دهد. بعد زیبای رویه فرهنگی موجب آگاهی و بعد زشت آن، که در پوشش زیبا و فریبنده‌ی زبان، به عنوان یک ترفند فرهنگی، پنهان شده است، منجر به جهل فرهنگی می‌شود. در این رمان، رویه‌های آشکار فرهنگیِ گفتمان جنگ با مفاهیمی مانند کرامت، عزت، و دفاع از جبهه شرقی جهان عرب؛ در برابر رویه‌های فرهنگی خشن و پنهانی قرار دارد که رمان شب مهین آن را آشکار می‌سازد. شخصیت اصلی داستان (عبدالله) در تمام مراحلی زندگیش در اثر رفتار سرکوبگرانه رژیم، مانند هر فرد عراقی، احساس بی-هویتی می‌کند. حتی مکان داستانی، به‌خاطر رویه‌های خشونت‌بار دولتی، از مکانی فرحبخش (مکان بازی کودکان) تبدیل به مکانی غم انگیز (مکان اعدام) می‌گردد تا چیرگی رویه‌های فرهنگی که خشونت دولتی آن را در جامعه عراقی به وجود آورده است، نشان دهد.

کلید واژگان: نقد فرهنگی، خشونت دولتی، جنان جاسم حلاوی، رمان شب میهن.

*نویسنده مسئول: Email: f_mirzaei@modares.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-18]